المحاضرة الأولى

الأزجال الاندلسية

أ. م. د. معتصم كريم محيسن

1- الزجل لغة واصطلاحًا: إنّ الزّجل في اللغة الصّوت، ويسمّى الحمام زاجلًا لصوته الرّخيم، قال ابن منظور "في لسان العرب: "إنّ الزّجل بالتّحريك اللعب والجلبة ورفع الصّوت، وخصّ به التّطريب"([1]) وجاء في "العاطل الحالي" للحليّ قوله: "والزجل في اللغة، الصّوت يقال سحاب زجل، إذا كان فيه الرّعد، ويقال لصوت الأشجار، والحديد، والجماد أيضًا زجل فالزّجل في اللغة هو الصّوت بتعدّد مصادره، وقد يكون متخصّصًا بنوع من الغناء، وقيل في سبب تسمية هذا النّوع زجلًا"([2]) لأنّه لا يلتذ به وتفهم مقاطع أوزانه حتّى يغنى به ويصوّت. الزّجل في الاصطلاح ضرب من ضروب النّظم يختلف عن القصيدة من جهة الإعراب والقافية، كما يختلف عن الموشّح من جهة الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب القافية إلا نادرًا.

ويعرّف أحمد مجاهد الزجل بقوله "شعر عامّي لا يتقيّد بقواعد اللغة، وخصوصًا الإعراب وصيغ المفردات، وقد نظم على أوزان البحور القديمة، وأوزان أخرى مشتقّة منها([3]) إنّ تعريفات الزّجل لا تختلف عن تعريفات الشّعر، والجدل الدائر حولها هو استخدام اللهجات العاميّة وترك الفصحى، وهو ما عبّر عنه صفي الدين الحلّيّ في كتابه "العاطل الحالي".

نشأة الزجل: أكّد دارسو فنّ[1] الزجل قديمًا وحديثًا أن الزجل هو بأتي في المرتبة الثانية في فنون الشعر المستحدثة في الأندلس بعد الموشّح ومن هؤلاء: ابن سعيد صاحب كتاب المغرب، وابن خلدون صاحب كتاب المقدّمة، والمقّري صاحب كتاب نفح الطّيب. وقد أجمعوا أنّ الزجل كان موجودًا قبل ذلك الزّمن، وذلك العهد إلّا أنّه كان خافتًا عديم اللمعان والبريق.([4]) وأوّل من درس فنّ الزّجل من القدامى حسب ما وصل إلينا هو صفيّ الدين الحلّيّ (ت749ه-1348م) في كتابه "العاطل الحلي والمرخص الغالي" الذي فصّل فيه (فنّ الزّجل) ودرسه بإسهاب"([5]).

أمّا بقية المصادر الأندلسية فلم يصل إلينا منها شيء عن الزجل وخصائصه الفنيّة، إلّا بعض الملاحظات عن الزجل، ونشأته وتدوينه وبعض الزجالين. أمّا المحدثون من عرب ومستشرقين، فقد اتّفقوا على أنّ هذا الفنّ هو فنّ أندلسي مستحدث، نشأ في الأندلس، ثمّ انتقل إلى المشرق، واختلفوا في علاقة الزجل بالموشّح فمنهم من عدَّ أنّ الزجل نشأ تقليدًا للموشّح ومنهم من يذهب إلى أنّ نشأته ترفع إلى أغانٍ رومانسيّة اسبانيّة، شأنه في ذلك شأن الموشّح، وهذا ما أكّده أنجل بالنثيا.

وقد تبنّى هذا الرأي من العرب شوقي ضيف، إذ يذهب بالقول"إنهما جميعًا فنّ واحد ذو شقين، شعبة تغلب عليها الفصاحة، وشعبة تغلب عليها العجمة ([6])، وقد اتّفق مؤرخو الأدب الأندلسي على أنّ الموشّح نشأ قبل ظهور الزجل، ومنهم ابن خلدون في كتابه المقدّمة إذ يذهب إلى القول "ولمّا شاع التّوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلالته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه، نسجت العامّة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعرابًا واستحدثوا فنًّا سمّوه الزّجل([7]).

نستنتج من قول ابن خلدون أنّ الزّجل الأندلسي جاء مقلّدًا للموشّح ، وأهل العامّة في الأندلس هم الذين نسجوا الأزجال على منوال الموشّحات، من دون أن تكون هذه الأزجال شعرًا ملموسًا، فهي تكاد تكون فصيحة لذلك وصفها ابن خلدون بالحضارية، إلّا أنّها ليست معربة. وقد نعتها ابن خلدون في "المقدمة "بالحضرية لاعترافه باختلافها عن اللغة العاميّة . ولا يمكن القول إنّ العوام عندما عجزوا عن نظم الموشّح لجأوا إلى نظمه بعاميّة الأندلس، وسمّوه الزجل وذلك:

1- إنّ الذين أنشأوا الزجل هم المثقفون الذين كانوا ينظمون القصائد الفصيحة.

2- إنّ عامية أهل الأندلس كانت بعيدة بعدًا شديدًا من اللغة الفصحى لاتصالها بلهجات متعددة غير عربية من جهة، واختلاف أصول الأندلسيين من جهة أخرى "فلو كانت لغة الزجل الأندلسي هي لغة العامّة نفسها لما انتشرت أزجال الاندلسيين في العراق وبلاد الشّام واستعذبها المشارقة ونسجوا على منوالها"([8]) . ومن المعروف أنّ الأزجال ظهرت ونشأت قبل أبي بكر بن قزمان، ولكن لم تظهر ملامحها ولا انسكبت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلّا في زمانه([9]). ونستطيع أن نستخلص أنّ الأزجال التي قيلت قبل ابن قزمان كانت بلغة العامّة تتعدد لهجاتها، أمّا أزجال ابن قزمان وما تلا بعده هي تطوّر للأزجال التي انتشرت في بلاد المشارقة

ونسجوا على منوالها. لقد زعم بعض الباحثين أنّ الزّجل الأندلسي نشأ تقليدًا لأغانّ إسبانيّة المعروفة بالأغاني الرومانثية، شأنها في ذلك شأن الموّشحات ويعود هذا الرأي للمستشرق بالنثيا، إذ يذهب بالقول: "إنّ سعيد بن عبد ربّه صاحب العقد الفريد، كان اوّل من نظم الأزجال وكان معنيًا بكتابات الإغريق، وعلوم الأوائل والفلسفة وكان صعب العشرة يتكلّم لهجة دارجة، واجتهد في تجويد الأزجال يوسف هارون الرمادي شاعر المنصور"([10]). بناء على قول بالنثيا يتّضح أنّ الزجل والموشّح ظهرا معًا ويخلط بينهما مستدلًا بما أورده ابن بسّام، وذلك لكي يرجع كلًا من الموشّح والزّجل إلى أصول شعبة إسبانيّة والنصّ الذي استدلّ عليه بالنثيا، هو من كتاب الزخيرة الذي لم يتحدّث عن أصل الزّجل، إنّما تتحدّث عن أصل الموشّح، وقد حاول كذلك إخفاء حقيقة أنّ الزّجل فنّ أندلسي، استحدثه أهل الأندلس المسلمة، وقد نشأ بعد نشوء الموشّح لا معه ولا قبله، ولم يصل إلينا منه إلّا ما قد قيل في زمن ملوك الطوائف (الخامس الهجري)، وقد اتّضحت خصائصه الفنيّة في هذه الحقبة، وما قد قيل قبل ذلك فقد ضاع مع ضياع الموشّح في أوّل ظهوره، أي لم يقوموا بتدوينه لأنّه عدّوه ركيكًا. أمّا في القرن السادس الهجري، ازدهر الزجل وقد أرجح عبد العزيز الأهواني سبب ازدهاره إلى عدم اتقان المرابطين اللغة الفصحى، إذ لم يلق الشعراء منهم تشجيعًا فمالوا إلى الزجل([11])، وينفي محمد عباسة ذلك للأسباب الآتية:

1- المرابطون هم البربر، ولم يكونوا عجمًا، ولا يصحّ القول إنهم لا يتقنون العربية الفصحى.

2- إنّ الذين فتحوا الأندلس، هم من أجداد المرابطين والموحدين، ولغتهم الرّسميّة كانت العربية الفصحى.

وقد ازدهر الزجل في عصر المرابطين وذلك لعدم اتقانهم اللغة العربية، ما أدّى إلى عدم اهتمامهم بالشّعراء الّذين ينظمون قصائد تقليديّة، فشجّعوا الشّعراء الزجالين من جهة كما كان لخروج الزجل إلى الأسواق والطّرقات العامّة حتّى كثر الزجالون وسقط في اللفظ السّوقي.

مخترع الزجل: اختلف المؤرخون القدامى، عن أوّل زجّال في الأندلس، فقد ذكر صفي الدين الحلّي، أنّ مخترع الزّجل هو يخلف بن راشد وقيل

مدغليس([12])، ويذكر ابن حجّة الحموي بعض الآراء، فيقول "قيل إنّ مخترعه ابن غزالة واستخرجه من الموشّح، لأنّ الموشّح مطلع وأغصان وخرجات وكذلك الزجل الفرق بينهما الإعراب في الموشّح، واللحن في الزجل، وقيل يخلف بن راشد، وكان هو إمام الزجل قبل بن قزمان، وكان ينظم الرقيق ومال النّاس إليه" فلما ظهر أبو بكر بن قزمان، ونظم السّهل الرقيق، مال النّاس إليه وصار هو الإمام بعده"([13]). يتّضح لنا مما سبق أنّ هذه الآراء قد أوردها كبار المؤرخين إلّا أنّها ليست دقيقة، لأنّهم لم يحيطونا بالحقائق التاّريخية لأولئك الزّجالين، كما أنّ ابن غزالة ومدغليس عاشا في المرحلة الثالثة من مراحل تطوّر الزجل، فكيف يكون هذان الزجالان مخترعين للزجل؟ ويذكر أن ابن قزمان أوّل من اخترع الزجل، وسبب ذلك أن هذا الأخير"حين كان صغيرًا في المكتب، دخل عليه صبي صغير مثله، فناداه وأجلسه بجانبه، وصار يحييه، فرآه الفقيه على ذلك فضربه، فكتب في أعلى اللوح هذا المقطع:

الملاح أولاد إمارة والوحاش أولاد نصاره

وابن قزمان جا يغفر ما قيل له الشّيخ غفاره

فاطلع الفقيه على اللوح، فرأى هذا المطلع فقال: هجوتنا بكلام مزجول يعني مقطعًا يترنم فيقال سمّي زجلًا من هذه الكلمة([14]). لكن هذه الرواية غير صحيحة فابن قزمان يعترف أن هناك زجليين قبله، وذلك حين عاتب المتقدمين قبله بقوله: "لقد رأيت النّاس يلهجون بالمتقدمين، ويعظمون أولئك المتقدمين، ويرون لهم مرتبة العليا، والمقدار الأجزل وهم لا يعرفون الطريق"([15]). لا يفتقر للفطنة ابن قزمان، يقول عنه لسان الدين بن الطيب: "إنّ هذه الطريقة الزجليّة البديعيّة بلغ فيها أبو بكر بن قزمان مبلغًا عظيمًا فهو آية وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم"([16]). وقد قال عنه الحجازي إنّه "كان في أوّل شأنه مثقلًا بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر على شعراء عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقتة لا يمازحه فيها أحد، فصار إمام الزجل المنظوم بكلام عامة النّاس"([17]). فابن قزمان إمام الزجالين في جميع العصور، عاش في عصر المرابطين وأدرك عصر الموحدين، واعترف له المؤرخون بتطويره لهذا الفن، وإبداعه فيه ويعدّ إمام الزجالين بالأندلس على الاطلاق([18]).

بناء الزجل: اصطلح الزجالة على أقسام أزجالهم بمصطلحات الموشّح فقد تحدّثوا عن المركز والخرجة والمطلع والبيت، وهي من المصطلحات التي ذكرها الوشّاحون، وهذا دليل آخر على أنّ الزجل تفرّع من الموشّح واستعار منه أقسامه ومصطلحاته وللتشابه الكبير بين الموشّح والزجل، عدّ القدامى مصطلحات التّوشيح قاسمًا مشتركًا بين الفنين، ولدراسة بناء الزجل سنستعين بزجل من أزجال ابن قزمان وهو من أبسط طرائق نظم الأزجال؛ قال ابن قزمان: ([19])

لس نفيق من ذا الصّدود أبدا

أو نعنق في ذراعي الحبيب

بي نكد بليت أنا وَي عذاب

الوصال يا قد نُسي بالعتاب

قد نحل جسمي ورقّ وذاب

ورجعت أرقّ من خيط ردا

لس بجسمي ما يطب طبيب

سبحان الله آش هاذا الجمال

يسحر العالم بعينين غزال

وحواجب عرفت باعتدال

فترى وردًا عجيب قد بدا

قد فتح في خدّ مثل الحليب

الحجال بذا المليح تفتخر

في ضيا خد يحير القمر

ذا الديباج لم قط يرى لبشر

نرضى أن نعطي فوادي فدا

في قطيره من وصال الحبيب

سريان لي عند زهر نريد

وهواه في كل ساعة يزيد

كل يوم نصبح لعشقًا جديد

وحبيب قلبي عليّ عدا

فانا من اجل هم كئيب

ذا الطبع في ذي المدينة ردي

الملاح يزيدوا في نكدي

يصلوا للعاشق البلدي

والذي نعشق هجر واعتدى

ولكن الله لكلّ غريب

قلت لو لمّا عتب وجفا

وعطاني من صدود ما كفا

اين أين توعدني قط عن وفا

قل متى تجين ؟ قال غدا

وغدًا للناظرين قريب

هذا الزجل من النماذج التي أكثر من نظمها الزجالون، وهو يتكوّن من القوافي التي نرمز لها بحروف (أ ب ج ح ج أ ب س س س أ ب) ويشبه الموشّح في شكله البسيط لجهة القافية، وعدد المقطوعات إلى حدّ ما، فليس من فرق بين الموشّح والزجل من جهة الشكل ما يتركّب من الموشّح يتركّب منه الزجل كالمطلع والبيت والقفل والخرجة. يتكوّن هذا الزجل من ستّة أبيات وسبعة أقفال وهو زجل تام، المطلع في الزجل الذي مثلنا به هو:

لس نفيق من ذا الصدود أبدًا

أو نعنق في ذراعي الحبيب

ويتكوّن من جزأين مختلفي القافية (أ- ب) وهذه القافية تتكرر بعد الأبيات في جميع أقفال هذه القطعة، وإذا كان المطلع يتكوّن من جزأين مختلفي القافية فالجزءان يتكرران ضروريًا في الأقفال كالزجل:

ورجعن أرق من خيط ردا

لس بجسمي ما يطب طبيب

ويتكوّن المطلع في أغلب الأحيان من جزأين والقفل من جزء واحد، وهذا الشكل جاءت عليه أكثر الأزجال وخاصّة أجزال ابن قزمان، والبيت في الزجل الذي أوردناه يتكوّن من ثلاثة أجزاء مفردة جاءت على قافية واحدة وهو:

بي نكد بليت وأنا وي عذاب

الوصل يا قد نسي بالعتاب

قد نحل جسمي ورقّ وذاب

والبيت لا يزيد على فقرتين في الأزجال، ويتكوّن البيت من ثلاثة أجزاء في الأزجال الأندلسيّة، وقد يصل إلى أربعة في بعض الأحيان([20])، وينبغي ألا يزيد البيت على هذا العدد وإن تعداه في الأزجال الشاذّة، أمّا البيت الذي يتكوّن من أربعة أجزاء فيجب أن يكون مفردًا، أمّا البيت الذي أجزاؤه مركبة فلا يزيد على ثلاثة أجزاء ويجب أن يكون البيت متفقًا في الوزن وعدد الأجزاء مع بقية الأبيات الأخرى، لكنه لا ينبغي أن تكون جميع الأبيات على قافية واحدة لكلّ بيت قافية معينة([21]).أمّا الخرجة فهي القفل الأخير من الزجل، والقفل الأخير من الزجل في المثال هو:

قل متى تجين ؟ قال غدا

وغدًا للناظرين قريب

جاءت هذه الخرجة معربة وقد بناها ابن قزمان على الحكمة، أمّا إذا كانت بلغة غير معربة أو بالعاميّة فتصدر بألفاظ أنشد، أغني وغيرها، وذلك في البيت الأخير من الزجل حتّى يتبيّن للسّامع أن الزجل قد أوشك على الانتهاء، وستأتي الخرجة وغالبًا ما تكون بلغة فصيحة، لأنّ الزجل ينظم بلغة غير معربة أمّا ما يشبهها ولا بدّ من تمييز الخرجة ، لذلك يلجأ الزجال الأندلسي إلى نظمها باللغة الفصحى.

أوزان الزجل: بما أنّ الموشّح هومن الشعر الفصيح، وهو سبب في ظهور الزجل فكان من الطبيعي أن تكون أوزان الزجل من أوزان الشّعر العربي، لكن ليس كلّ أوزان الزجل هي من البحور التي استنبطها الخليل من الشعر، فمنها ما يوافق الأوزان الخليليّة ومنها ما هو فرع، وهو الغالب في الأزجال الأندلسية قال صفي الدين الحلي: "إنّ الزجالين الأوائل جعلوا الأزجال قصائد وأبياتًا مجرّدة في أبحر عروض العرب، وهذه القصائد لما كثرت واختلفت عدلوا عن الوزن الواحد العربي

إلى تفريع الأوزان المتنوعة، وتصنيف لزومات القوافي وترتيب الأغصان بعد المطالع، والخرجات بعد الأغصان إلى أن صار فنًا لهم بمفردهم"([22]). من خلال ما ورد نخلص إلى أنّ الأزجال الأولى نظمت على منوال الموشّحات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري والتي جاءت على البحور الخليليّة ولم تصل إلينا. ولا نعتقد أنّ الحلي كان يتحدّث عن الشّعر الملحون، لأنّ هذا النّوع من الشّعر لا ينظم على أوزان الخليل، وعلى ضوء ذلك نستخلص أن الأزجال الأولى جاءت على الأعاريض الخليلية قبل ان تتنوع أوزانها([23]). وقد جاء في (المقدمة) أنّ المتأخرين كانوا ينظمون الأزجال على سائر البحور الخمسة عشرة، لكن بلغتهم العاميّة ويسمونه الشعر الزجلي([24]). ويفهم من هذا الكلام أنّ أوزان الأزجال انتقلت من التّفريع إلى الأصل الخليلي عند المتأخرين من الزّجالة، لكننا لا نوافق ابن خلدون على أن الزجل الذي جاء على أوزان الخليل نظم بالعاميّة، لأنّ العاميّة غالبًا ما يبدأ بالنطق بها بسكون وينتهي بسكون، من الصّعب أن تساير البحور الخليليّة التّامّة، بل أكثرها جاء على أجزاء الأوزان، فلغة الزجل ليست العاميّة الأندلسية وإن تخللتها ألفاظ دارجة بل هي لغة غير معربة.

أغراض الزّجل: تناول الزجل الأغراض التي تناولتها القصيدة التقليديّة، وقد نظموا في الغزل والمدح والخمر والزّهد وغير ذلك من فنون الشّعر العربي القديم:

1- الغزل: جاء الغزل مصاحبًا للهو والمجون ويدلّ هذا على أن بعض هذه الأزجال نظمت في مجالس الأنس، والطرب ومن الأزجال التي انفردت بالغزل العفيف زجل لمدغليس يقول:

قد رحلت أنا وقلبي إيش يكون منّي ومنو

ولا يشفقوا عليّ ذا الملاح ولا يحنو

قد قسمت أنا وقلبي الهوى بلا مناعس

فخرجت أنا للأفكار وخرج هو للوساوس

فهو كل حد في راحة ونحن في حرب داحس

نضربو أخماس في أسداس من حساب لم نظنو([25])

2- وصف الطبيعة: إنّ الطّبيعة الخلّابة قد فتنت شعراء ووشاحي الأندلس، ما جعلهم يتغنون بجمالها كما في قول أبو علي بن أبي نصر الدباع:

لا شراب إلّا في بستان والرّبيع قد فاح بنوار

يبكي الغمام ويضحك أقحوان مع بهار

والمياه مثل الثّعابين في ذلك السّوقي دارو

والنّسيم عذري الأنفاس قد نحل جسم وقد رق

وعشية مليح فتنة عنه المسك ينشق

والطيور تحكي المثاني وتسقها أحسن سياقا

في ثمار يلهون لزمان العشق طاقا

فغصن لآخر يقبل وقضيت لآخر يعنق

فنجد توظيف التشبيهات والاستعارات العذبة في وصف الطبيعة مفصّلًا ودقيقًا.

3- الخمريات: ومن الفنون التي تناولها أهل الأندلس في أزجالهم وصف الخمر والتّغنّي بها، وقد كان الأندلسيون يحتسون الخمر في مجالس اللهو والأنس، وقد كان ابن قزمان يتردد على هذه المجالس وله زجل يقرر فيها أن الحياة إنّما هي لهو وشرب عشق ،وما عدا ذلك من الدّنيا لا قيمة له في نظره، ومما قال:

دنيا هي كم تراها فاجتهد واربح زمانك

كلّ يوم وكل ليلة لا تخلى مهر جانك

واسع عليه من قبل أن يجيء الموت في شأنك

لس ذي عندك مصيبة والدنيا حيَا ؟

ساع دون شريب عندي لا شكل ولا ملاحة

واسِ يوم بلا رقاعة وأش يوم بلا وقاحة

لس عند اللذلذة ولايد الرّاح واحة

حتّى تدخل شقة الكأس بالشّراب بين شفتيا([26])

4- المدح: طرق الزجل موضوع المدح، وقد أكثر منه الزجالون ومزجوه بأكثر من موضوع، وهو بذلك يأتي على طريقة الموشّح والقصيدة التقليدية في هذا الغرض، ونجد الزجل في قصيدة لابن قزمان الذي بنى قصيدة زجليّة مدحيّة من دون ربطها بغرض آخر عندما مدح القاضي ابن الحاج يقول:

وصل المظلوم لحق وانتصف غني ومسكين

يحضر الإنكار والإقرار ويقع الفصل فالحين

اجتمع فيه الثلاثة: الورع والعلم والدين

فيزول الحقّ إذا زال ويدوم الحقّ إذا دام

وترى طالب ومطلوب لس ترى زوار جلاس

إلّا أن كانت ضرورة كلمة كلمتين فلا بأس

مِرآت يا قاضي للجماعة جزاك الله خير عن الناس

إن مذ كنت أت حاكم عرفت شروط الأحكام

أيّ نهار نراك في دارك وأتِ قد جلست للناس

والخصام يعطي ويمنع الزحام وحرب الأنفاس

والمواريث والجنايات والنظر فأموال الأيتام([27])

وقد جاءت معظم أجزال المديح ذكر خصال الممدوح، وصفانه الحميدة وتمجيده، ولم يختلف المديح في هذا الغرض عن القصيدة التقليديّة والموشّح "غير أن الزجالة قد خالفوا الوشاحين في بعض أزجال المديح، فبينما كان الوشاح يختم موشحته بخرجة فصيحة احترامًا للممدوح، كان زجال القرن السّادس الهجري يصدر زجله بمقدمة زجلية ماجنة أحيانًا"([28]). ما يؤكّد أن الشخصية الممدوحة، كانت تتذوق مثل هذه المقدمات في ذك العصر.

5- الهجاء: إنّ الهجاء هو الغرض المناقض للمديح، وقد تطرق الزجالون إلى موضوع الهجاء بقسوة، فشعراء القصيدة التقليدية قد بالغوا في حينما تطرقوا لهذا الغرض، وقد كان الزجالون أشدّ فحشًا منهم، خصوصًا أن ألفاظ الفحش والتهكم أكثر وفرة في العامية منها إلى الفصحى([29])، ونجد نوعان من الهجاء: أهاجي تتسم بروح الخفّة والسّخرية اللاذعة والفكاهة الخفيفة، وهجاء خالص يجنح إلى الفحش والقذف وإيثار التّصريح على التّلميح. ومن الأزجال التي بنيت على الهجاء وحد، زجل الحسن بن أبي الدّباغ، إمام الهجو الذي قاله في طبيب:

إنّ ربت من عداك يشتكي من تلطيخ

وتريد أن يقبر احمل للمريخ

قد خلف ملك الموت بجميع إيمان

ألا يبرح ساعة من جوارد كان

ويريح روح ويعظم شان

لقد اتسم هذا الزّجل، بخفّة الرّوح والنّكتة البارعة، ومن الهجاء الخالص الذي يجنح إلى الفحش زجل ورد لأبي علي الدباغ، أقدم فيه على هجاء أم شخص، يدعى الجرنيس النيار لما أصابته مصيبة الموت، وكان الدّباغ ماهرًا في الهجاء، فنعتها بأحط النّعوت كالدّعارة والفسوق، من دون أن يحفظ حرمة الميت يقول:

عزوا ابليس ونوح يا كفَار

ماتت أمّ الجرنيس النيار

كل شاطر إن كان في ذا الجيها

حلف الموت ألا يخليها

وأي رزيا جرت على الشطار

بيها كان الربض يفوح... ك

وتزين قبح المعاصي إليك

متحل ابليس حتى تقع فالعار

خلت أولاد بحل فراغ البوم([30]).

6- التصوّف: من المواضيع التي تناولها فن الزجل، هي التّصوّف فقد كان أبو الحسن الششتري، أوّل من أدخل التّصوّف في الأزجال، ومن أزجال الششتري:

لله لله هاموا الرّجال	في حبّ الحبيب
الله الله معي حاضر	في قلبي قريب
إدّلل يا قلبي	وافرح حبيبك
واتنعّم بذكر	مولاك وقصّ الأثر
واتهنّى وعش	مدلل ما بين البشر
دعوني دعوني نذكر	حبيبي بذكرو نطيب
الله الله معي حاضر	في قلبي قريب[31]

وقد عبّر الششتري عن أدقّ المعاني الصوفية ونزل إلى العامّة، فتداولوه في ما بينهم، وأنشدوه في مجالسهم، وقد غلبت الأزجال الصوفيّة في ديوان الششتري على القصائد الصّفيّة، فتكاد تصل إلى المائة وهو عدد كبير، إذا قورن بشعره الصّوفي الذي لا يتجاوز إحدى وأربعين قصيدة، ما يدلّ على غلبة روح الزّجل عليه أكثر من الشّعر([32]).

1- الزجالون: ابن قزمان أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان القرطبي المتوفى سنة (533ه – 1160م) إمام الزجالين على الإطلاق([33])، وقد اشتهر بالأزجال

في الأندلس ونظم كذلك الموشّحات، عاب على متقدميه أزجالهم ووصفها بالبرودة، ويعدّ ديوانه المطبوع من أنفس الآثار الأدبية في الأندلس، ولم يصل إلينا كاملًا ([34]).

2- مدغليس: عبد الله بن الحاج الزجال المعروف باسم مدغليس (ت554-1160ه) عاش في عصر الموحدين، ولمدغليس قصائد زجلية على أوزان العرب أوردها الحلي في العاطل وله أزجال في كتاب (المغرب)([35]).

الهوامش

2- صفي الدين الحلي، العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص10.

3- أمين القاري، روائع الزجل، 1998، ص5.

4- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص441.

5- محمد عباسة، الموشحا ت والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص106.

6- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص454.

7- محمد عباسة، الموشحات والأزجال، ص109.

8- م. س، الموشحات والأزجال، ص109.

9- بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص156.

10- عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، ص55.

11- ابن حجة الحموي، بلوغ الأمل في فن الزجل، ص52.

12- محمد بن عبد المؤمن، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، ص416.

13- ابن قزمان، أبو بكر، الديوان ، ص2.

14- عبد العزيز سالم، الأندلس فصل الحياة العلمية والأدبية بالأندلس، ص204.

15- محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس، ص9.

16- ابن قزمان، الديوان زجل، ص629.

17- محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص129.

18- م. س، ص126.

19- م. س، ص12.

20- صفي الدين الحلي، العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص170.

21- محمد عباسة، الموشحات والأزجال في الأندلس، ص129.

22- ابن خلدون، المقدمة 411/3.

23- محمد عباسة، الموشّحات والأزجال في الأندلس، ص137.

24- صفي الدين الحلي، العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص205.

25- محمد زكريا عناني، في الأدب الأندلسي، ص259.

26- صفي الدين الحلي، العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص205.

27- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص220.

28- الأهواني، الزجل في الأندلس، ص201.

29- محمد عباسة، الموشحات والأزجال، ص150.

30- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ص460.

31- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ج1، ص439.

32- م. س. ص440.

33- الششتري، الديوان، ص88.

34- فوزي سعيد، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص168.

35- ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ص100.

36- محمد عباسة، الموشحات والأزجال، ص239.

37- م. س. ص243.

38- روبير خوري، الزجل اللبناني منابر وأعلام، ص10.

39- م. س. ص 17.

40- أمين القاري، روائع الزجل، ص6.

41- م. س. ص 7-8.

42- م. س. ص 12-13.

43- ديزيره نقال ، الزجل والشعر اللبناني العامي، ص48.

44- روبير خوري، موسوعة الشعر العامي اللبناني، ص20.

45- م. س. ص 31.

Arm. Wikipedia. Org -46

47- م. س. ص 24.

المصادر والمراجع

ابن حجة الحموي، بلوغ الأمل في فن الزجل، ص2016.

2- ابن خلدون، المقدمة، طبعة كالزمير، باريس 1857.

ديزيره نقال، الزجل والشعر اللبناني العامي، 2020.

4- روبير خوري، موسوعة الشعر العامي اللبناني، الذوق منشورات صوت الشاعر ط1، 2008، ص20.

5- الششتري أبو الحسن، الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية 1960.

6- سعيد، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ط2، دار المعارف، القاهرة 1964 ج1.

7- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف ط7 القاهرة 1969.

8- صفي الدين الحلّيّ، العاطل الحالي والمرخّص الغالي، تحقيق ولهم هونرباخ، فينسبادن 1955.

9- عبد العزيز الأهواني، الزجل الأندلسيّ، القاهرة، 1967.

10- عبد العزيز سالم، الأندلس فصل الحياة العلمية والأدبية بالأندلس، ج2، دار المعارف، مطابع الشعب 1959.

11- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية ط1، 2007.

12- القاري، أمين، روائع الزجل، بيرو، جروس برس ط1، 1988.

13- ابن قزمان، أبو بكر الديوان، تحقيق كورينطي، المعهد الإسبانيّ العربيّ للثقافة، مدريد 1980.

14- محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، ج5، منشورات وزارة الثقافة، المغرب 2006.

15- محمد بن عبد المؤمن خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت ط1، 1992.

16- محمد زكريا عناني، الموشّحات الأندلسيّة، عالم المعرفة، الكويت 1980.

17- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، دار العلم للملايين،